الشيخ الخـــالدى

مجلس آخر من مجالسه

للدكتور عبد الوهاب عزام

كتبت فى عدد من الرسالة ما سمعته من الشيخ الخالدى فى أحد مجالسه بحلوان . واليوم أنشر حديثاً آخر حدث به فى مجلس بالروضة :

جمعنى والشيخ الجليل مجلس فى دار الأســـتاذ عبد الحميد العبادى ليلة الإثنين الثالث والعشرين من رمضان سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وألف ، فلما اطمأن بنا المجلس قلت : قد سمعنا حديث شيخنا العلامة عن المدارس فى المشرق إبان مجد المسلمين ، فهل له أن يتم الحديث بذكر مدارس مصر والمغرب

قال : بقى من مدارس المشرق مدارس الأناطول ، ومنها مدرسة آلتون باى التى بناها السلاجقة فى قونية ، وبقيت معمورة الى زمن الحرب الكبرى . وقد طلب العلم بها السيد الشريف الجرجانى والقنارى (وهذا من ذرية سيدنا عمر . وسيف الدين الآمدى عربى من بنى ثعلبة إخوة بنى يربوع) . وفيها مدرسة قره طاى كبير فى قونية ، ولا تزال آثارها قائمة وهى من بناء السلاجقة أيضاً ، وقد درس فيها جلال الدين الرومى ، وفى بروسة مدرسة السلطان مراد الأول ومدرسة السلطان محمد جلبى . ومن علمائها الخيالى وخواجه زاده الذى كتب « تهافت الفلاسفة » يتوسط فيه بين الغزالى وابن رشد ؛ ومن علمائها كذلك ملا خسرو وحسن جلبى . وله حاشية على كتاب المطول فى البلاغة

ومن مدارس حلب المدرسة الحلاوية وكان يقرأ فيها الكاشانى صاحب كتاب البدائع فى الفقه ، وكان يفتى هو وامرأته ، لا يخرج الفتوى حتى تعرض عليها . ثم المدرسة المستنصرية فى بغداد فى غنى عن التعريف

ومن مدارس مصر المدرسة الكاملية التى بناها الملك الكامل الأيوبى . ومدرسة صلاح الدين ، بناها للإمام نجم الدين الخبوشانى قرب مسجد الامام الشافعى . والخبوشانى منسوب إلى خبوشان إحدى قرى نيسابور . وقد دفن بجانب الامام الشافعى وابنه قبره . والمدرسة الصالحية التى أسسها الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وكانت لمذاهب الفقه الأربعة ، والمدرسة الشيخونية . وكل هذه المدارس كانت صغيرة القدر بالقياس إلى جامع عمرو الذى كان مباءة العلوم الاسلامية منذ الفتح الاسلامى إلى القرن التاسع . وقد رأيت بالآستانة كتباً قديمة قرئت بجامع عمرو وعليها سماعات العلماء إلى سنة ٧٠٠ و سنة ٨٠٠ والشاطبى إمام القراء درس بهذا الجامع . ومن دور العلم فى القاهرة خانقاه سعيد السعداء بالجمالية ، وكان ينزل بها كبار العلماء ، وممن نزل بها القطب الشيرازى والشريف الجرجانى ، ومبارك شاه المنطقى ، وقطب الدين الرازى . ويؤسفنى أن وزارة الأوقاف لا تعنى بها عناية تكافئ مكانتها فى التاريخ الاسلامى : ومن مدارس القاهرة مدرسة المؤيد

وأما الأزهر فقد صار من دور العلم الكبيرة بعد سنة تسعمائة ، وعلماؤه الذين ذكرهم الجبرتى متأخرون وأقدمهم الشيخ خالد الأزهرى . وأما ابن هشام وابن عقيل فلم يتعلما فيه

وكان فى الاسكندرية دار الحديث ، ومدرسة الحافظ السلفى ، وكان ينزل بها العلماء الوافدون من المغرب ، ومدرسة الامام الطرطوشى مؤلف سراج الملوك .

ودور العلم فى المغرب كانت جامع القيروان ؛ قرأ فيه أصحاب الامام مالك وأئمة مذهبه ومنهم سحنون ، وابن عمر ، وابن الحداد ، وسحنون الصغير ، وابن اللبّاد ، والامام اللخمى أحد محررى مذهب مالك ، وعبد الحميد الملقب بمالك الصغير ، وهو شيخ المازرى ، وغير هؤلاء ممن ذكروا فى كتاب معالم الايمان فى تاريخ القيروان لابن ناجية ، وهو شارح الرسالة التى ألفها عبد الله ابن أبى زيد صاحب كتاب النوادر ، وهذا الكتاب واحد وعشرون مجلداً فى مكتبة أياصوفيا ، وبعض مجلداته فى مكتبة القرويين بفاس

وجامع الزيتونة بتونس ، وهو قديم عمره يبلغ الأغلب سنة ١٤٥ . ومن علمائه المازرى شارح صحيح مسلم ، وشارح التلقين للقاضى عبد الوهاب وهو عشر مجلدات كبار . ولا تزال اسطوانته معروفة فى الجامع ، وابن عبد السلام ، وابن عرفة ، وابن خلدون ، وابن راشد القفصى وهو أعلمهم ، والونشريسى صاحب كتاب المعيار ، والأبى شارح صحيح مسلم (وشرح المازرى الذى ذكرته آنفاً اسمه المعلم فى شرح صحيح مسلم ، وكتاب الأبى

اسمه متمّ المعلم ، وللقاضي عياض شرح اسمه إكمال العلم) ، ويحيى بن خلدون أخو عبد الرحمن بن خلدون المعروف ، وأبو الحسن الشاذلي ، وله أسطوانة في الجامع معروفة . ومن دور العلم بجاية وتلمسان ، وكان بها مدرسة السلطان أبي الحسن المريني ، ومدينة سبتة ، وقد ألف فيها القاضي عياض كتاب العيون الستة في أخبار سبتة . وهو كتاب يشهد بكثرة العلماء الذين نبغوا فيها . ومن دور العلم العظيمة جامع القرويين بفاس أسسه مولاي إدريس الأصغر . وهو يضاهي جامع القيروان في سعته ، وواجهته مركبة على ٢٠٠ أسطوانة بين كل اثنتين خمس خطوات

وقد ألف في تاريخ علماء فاس كتابان : الأول جذوة الاقتباس فيمن حل من العلماء بفاس ، وهو لابن القاضي الفشتالي (نسبة إلى فشتالة على نهر ورغة) ، والثاني جذوة الأنفاس فيمن أقبر من العلماء بفاس ، وهو للشريف الكتاني من المعاصرين ومن مدارس المغرب مدرسة يوسف بن تاشفين في مراكش.

وكانت مدن العلم في الأندلس ، قرطبة ، واشبيلية ، وطليطلة ، ومرسية ، وبلنسية ، وشاطبة ، وسرقسطة ، وغرناطة ، في الزمن الأخير

وكان أهل الأندلس يحفظون دواوين شعراء الجاهلية بالرواية والأسناد كالحديث النبوي ، وقد جاء في تاريخ قرطبة « كانت قرطبة في الدولة الأسلامية قبة الأسلام ، ومجتمع علماء الأنام والأعلام . بها استقر سرير الخلافة المروانية ، وفيها تمحّضت خلاصة القبائل المعدّية واليمانية . وإليها كانت الرحلة في رواية الشعر والشعراء . » وقد بلغ من تشدّدهم في الرواية أن أبا عليّ القالي جاء الى الأندلس ومعه كتاب سماع في اللغة ، فاستعاره الخليفة (لا أدري أكان الخليفة الناصر أم ابنه المستنصر ؟) وأبقاه عنده زماناً فلما أرجعه أبطل القالي العمل به في الرواية . لأن الكتاب خرج من يده زمناً طويلاً . قرأت هذه الحكاية في كتاب « الألماع في أصول السماع » للقاضي عياض . رأيت نسخة من هذا الكتاب في الأستانة (أيا صوفيا) وأخرى في الشام ، وللقاضي عياض (الشارحة) في الحديث . أعجب به ابن الصلاح فقال :

مشارق أنوار تجلّت بسبتة ... وذا عجب كون المشارق بالغرب
مشارق أنوار طلعن بمغرب ... أرين جميع الشرق بالطالع الغربي
فلله ما أبدى عياض فأشرقت ... مشارقه في كل قطر بلا غرب

ومن أجل عناية أهل الأندلس برواية الشعر نبغوا في اللغة . وحسبك ابن سيده صاحب المخصص والمحكم ، وقد رأيت الجلد الأول من المحكم بخط الجواليقي . اه

هذا ما اقتبسته من حديث شيخنا الخالدي في هذا المجلس ، أفاض فيه دون أن يرجع إلى كتاب أو ورقة . وكم من مجالس للشيخ العلامة لم تدوّن . ولو كتبت أحاديثه ونشرت معها كتبه ونتفه في تاريخ العلم والعلماء لاستفاد المسلمون علماً وأسعاً ، وظفروا بما فقدوه من تاريخ أسلافهم . ولعلنا نسعد بكتابة بعض مجالسه . والله ولي التيسير

عبد الوهاب عزام

هلموا لحج بيت الله الحرام

على الباخرتين

«زمزم» و «الكوثر»

تؤدوا فرضين

فرض الله ، وفرض الوطن

شركة مصر للملاحة البحرية

تسهر على راحة الحجاج وتحقيق رغباتهم

(اطلبوا البيانات الكافية من ادارة الشركة بعمارة بنك مصر القاهرة)